المحور الأول

عالم العرائس فى التشخيص والعلاج النفسى

ستكون البداية هنا بالحديث عن العرائس بوصفها أول أشكال الفنون الدرامية التى وظفها الإنسان الأول مع الأقنعة فى العلاج النفسى وعلاج الاضطرابات السلوكية فيما عرف بطقوس السحر أو السحر الأسود، لكننا هنا سنتجاوز البعد التاريخى والزمنى إلى التوظيف المعاصر للعرائس فى العلاج النفسى، وإن لم تكن أول وسائل العلاج النفسى بمفهومه العلمى الحديث، كما سنعرف بعد.

بدأ استخدام العرائس بطريقة متميزة ذات خصوصية عام ١٩٣٥م بواسطة Bender & Walt Mann بعنبر رعاية الأطفال فى قسم العلاج النفسى بمستشفى Bellevue بمدينة نيويورك بأمريكا، وكان أهم جزء فى هذا النشاط استخدام عروض العرائس Puppet Show وإقامة ورش عمل أو فصول للتدريب على صنع العرائس.

كان معظم الأطفال فى هذا المستشفى يعانون من مشاكل سلوكية، ويخضعون للعلاج النفسى العادى، ومع ذلك كانوا فى حاجة لفرص يعملون من خلالها بعيدا عن مشاكلهم ليعبروا بحرية، أو يعبروا لفظيا عن العدوان الذى يشعرون به، وعن علاقاتهم بالآباء والأخوة، ويتجاوزوا مشاعر القلق والشعور بالذنب. وقد أثبت العلاج الجماعى من خلال العروض العرائسية نجاحه فى ذلك.

كانت العروض تقدم بواسطة لاعبين من الكبار، وقبل كل عرض كان الأطفال يهيئون للتفاعل بحرية لفظيا مع المسرحية والعرائس، ثم يتبع العرض مناقشة جماعية لموضوع المسرحية.

فى عام ١٩٣٦م أثبت بندر وولتمان، أن عروض العرائس نموذج مثالى للتعبير عن مشكلتين أساسيتين فى الطفولة وهى:

١ – مشاكل العدوان ضد الطفل بالعنف عندما يرتكب خطأ ما.

٢ – مشاكل علاقة حب الطفل للأم والأب والأشقاء.

وقالا «إن الشخصيات الرمزية يمكن أن تساعد على التعبير الحر عن العدوان، دون أن تسبب قلقا أو خوفا لدى الطفل، كما تسمح بالتعبير الحر عن الحب» (BENDER & Walt Mann ١٩٣٦م).

وفضلا استخدام عرائس اليد (القفاز) عن أى نوع آخر لمشاركتها المباشرة فى الفعل. ولإمكانياتها الكبيرة فى الحركة وقدرتها على العدوان. وعلى المستوى الشعبى، تساعد على مشاركة الجماهير فى العرض، مما يسمح للأطفال بتجاوز مشاعرهم الانفعالية وأن يعبروا عما يرغبونه وما يرفضونه، وتساعدهم على البحث عن الحل المناسب. بجانب التطهير الانفعالى Catharsis لعروض العرائس، اعتقدا عام ١٩٥١م أن الطبيعة الحقيقية للعلاج بالعرائس تقع فى تتبع المناقشة الجماعية التى تدور حول المسرحية.

أقام بندر و ولتمان ورش عمل أو فصول يقوم فيها الأطفال بتصنيع العرائس، كتابة المسرحيات، والمشاركة فى عرضها،وكما فى العلاج باللعب، قالا: «إن هذه الورش يمكن استخدامها لأغراض علاجية

بتوجيه اهتمام الأطفال تجاه البحث عن حل لمشاكلهم الانفعالية، من خلال استخدام الصلصال أو الطين كوسيط لعمل قوالب لرأس العرائس، أو برسم شخصية العروسة: بمشاهدة أو المشاركة فى عرض المسرحية. أو من خلال المناقشة للعرض.

فى عام ١٩٤١م قام كل من Lyle & Holly بمناقشة القيمة العلاجية للعرائس من خلال تبادل التعليم re - Education ففى علاج الطفل يتعلم كل من المعالج والطفل الكثير حول طبيعة الصراعات التى يعبر عنها الطفل من خلال الوعى أو العرائس، أفضل من تعبيره عنها من خلال الكلمات خاصة وأنه محدود فى قاموسه اللغوى.

فالعرائس تسمح للطفل بالتعبير عن خيالاته بشكل إبداعى، وتسمح للمريض بأن يعبر عن مخاوفه، وتجاوز القلق الذى يخبرنا بالكثير حول صراعاته. وأخيرا فإن الإسقاط من خلال العرائس يساعد على الثقة فى الذات، ويسمح بالتفاعل الاجتماعى، لارتباط عرض العرائس بعلاقات اجتماعية حتى ولو كان المشاهد طفلا واحدا.

فى عام ١٩٤٢م كتب كل من Jenkins & beckh مقالتين حول استخدام عرائس الأصبع والأقنعة كوسائط علاجية مع الأطفال، وكان الهدف من استخدامها إثارة مزيد من الإدراك حول إمكانية هذه العرائس فى العلاج الفردى.

فى عام ١٩٥١م استخدم Hawkeye العرائس فى العلاج باللعب والتشخيص والعلاج النفسى مع الأطفال، لفائدة العرائس فى التعبير عن الخيال. وقد وصف عددا من أساليب العلاج الفردى التى يمكن

استخدام العرائس بها. وكيف يتم تبادل الأدوار بين المعالج والطفل حيث يأخذ الأطفال دور المعالج فى تقديم العرض، ويأخذ المعالج دور الطفل فى التفسير.ويتم الحوار بينهما مباشرة أو عن طريق العرائس .مما يساعد على الاستماع لمزيد من الأفكار الخيالية المحبطة.

فى عام ١٩٦٣م، ١٩٦٤م نشر Korse مقالتين منفصلتين عن استخدام عروض العرائس فى العلاج النفسى مع الكبار والصغار، معتبرا عرض العرائس صورة مصغرة عن السيكودراما، حيث يظل المريض مخفيا عن الجمهور، والعروسة تمثل وتتحدث نيابة عنه بالشكل الذى يعكس صراعاته. وفى عام ١٩٦٣م وجد أن عرض العرائس أكثر التصاقا بالواقع مما يفيد العلاج، وقد حدد ثلاث عمليات علاجية تتم أثناء العرض.

١ – مثل مسرحيتك حتى تصبح طبيعة العالم الذى تعيشه واضحة لى.

٢ – دعنا نتحدث معا حول مسرحيتك حتى يصبح العالم الذى تعيشه واضحا لك.

٣ – دعنا نحاول أن نعرف لماذا عالمك مختلف عن العالم الذى نعيش فيه ولماذا يبدو لك مستحيلا؟

وذكر أنه كما أن العرائس وسيلة مهمة للتعبير والتواصل غير اللفظى، فإنها قناة للتعبير اللفظى أيضا. ومن خلال التواصل اللفظى تساعد على بناء جسر بين عالم المريض الخاص والعالم الذى يعيشه الناس.

فى عام ١٩٦٥م درس Cassell تأثير العلاج بالعرائس على الاستجابات الانفعالية للمرضى المقيمين بالمستشفى والذين ينتظرون إجراء قسطرة للقلب لهم والعمل على مساعدتهم للتحكم فى انفعالاتهم باستخدام العرائس، وقد فضل استخدام العرائس عن الدمى،

لأن الصبية يفضلون استخدام العرائس عن الدمى التى يعتقد أنها نشاط مخنث (Sissy).

فى عام ١٩٧٣م طور كل من Schuman, Marcuse برنامج لاستخدام عرائس اليد مع بعض المرضى النفسيين فى مواقف لعب الأدوا، وقد وجدوا أن هذا التقنية تسمح للمريض بالتعبير عن الانفعالات التى لا يمكنه التعبير عنها بأى من الطرق الأخرى. وكانت الجلسات الناجحة تحتاج إلى التخطيط الجيد، وتوجيه المريض، والمرونة، شرط أن تكون لمجموعة العلاج الدافعية للشفاء، ليشجعوا بعضهم البعض.

فى عام ١٩٧٤م أقام كل من Pope, Edel & lane ورشة عمل للعرائس لتعليم الأطفال المعاقين كيفية تصنيع العرائس، وإبداع مسرحياتهم، والمشاركة فى تقديم العروض أمام الجمهور. وقد ساعد هذا المشروع على علاج القصور فى الانتباه، والنشاط الزائد، والانسحاب.

فى عام ١٩٧٥م استخدم Irwin & Shapiro العرائس فى التشخيص والعلاج كتقنيات إسقاطيه، واعتقدوا أن العمل مع هذا الوسيط التعبيرى يساعد الأنا على أن يكون أكثر تأثيرا على المصالحة بين المطالب الداخلية والخارجية، وبالتالى يمكن استعادة تكامل قدراته فى عام ١٩٨٠م أشار Burch إلى بحث لفرويد ١٩٥٨م حول التذكر، والتكرار كنماذج يمكن العمل من خلالها لحل الصراعات عند الأطفال، حول الصراعات التى سببتها الصدمات المبكرة. وقد استخدم العرائس كوسيط فى هذه العملية، ويذكر حالة طفل فى الثالثة عشر من العمر استخدم العرائس لإعادة بعض الذكريات والانفعالات التى صاحبتها، نتيجة الرفض والنبذ عند الذى تعرض لهما مبكرا.

واليـوم، تم تطوير الكثير من تقنيات اسـتخدام العرائس فى العلاج النفسـى، أولا باعتبارها بديلا ناجحا للتواصل، لما تملكه لغة العرائس مـن رمـوز بصريـة Visual Symbols، واسـتعارات لفظيـة Verbal Metaphors، تتطلـب الفهـم الجيد لاسـتخدامها فـى إقامة حوار، وإبداعهـا، ونطقها وفهمها. وعلى ذلك تسـاعد العرائـس الناطقة فى مواقـف العـلاج لفهم الآخرين، من خلال المشـاركة فـى حوار فعال، مبنى على الفضول، واستخدام الإشارات والرموز، التى تعرضها العروسة والقصة التى تشارك فيها.

ومـع الأطفال التوحديين تسـتخدم العرائس للتأكيـد على المهارات الاجتماعية تنمية التخاطب من خلال اللعب الرمزى الذى يعتبر أسلوبا متميزا للعمل مع الأطفال التوحديين وباقى فئات الاحتياجات الخاصة، ليمارسـوا اللعب التلقائى، والتمثيلى والرمزى، مما يساعدهم على الانتقال من عالم التفكير المادى، إلى التفكير المجرد وعالم المفاهيم.

المراجع:

1 - Matthew G. Burners, Puppets As Art Therapy with Emotionally Disturbed children, Hahnemann university 1983.

2 - Do you Speak Puppetry, puppet as an alternative form of communication, puppets & therapy, www. speakingpupprtry.com.

3 – Mike Frandsen DC Examinar, puppets, play therapy can improve social skills, speech for children with autism, 16/ 2/ 2011 m www. examinar. com.

■■■